

جرجى زيدان وروايته "سلطان صلاح الدين الايوبي": أدبها وأسلوبها علي نمط الأدباء  
*Jurjī Zaydān and his novel, "Sultan Salāhud-Dīn Ayūbī: Its  
 Literature and Style, according to the writers*

Hafiz Ahmed Saeed Rana

*Doctoral Candidate Arabic, B.Z.U, Multan/ Member Kanzul Madaris Board, Pakistan*

Muhammad Sohail

*Assistant Member, Kanzul Madaris Board, Pakistan*

**Abstract**

The beginning of an imaginary tradition in modern Arabic literature is part of a broader process of restoration and cultural integration. The process involved the creative fusion of two separate forces. One is the rediscovery of the treasures of the Arabic literary heritage and the creation of a "neo-classical" movement. The second is the creation of European fiction in Arabic, their adaptation and imitation, and the final form of the indigenous tradition of modern Arabic fiction. *Jurji Zaydan* (1861-1914), was an Arabic-Egyptian writer and a well known fictional novelist, journalist, editor and a teacher, and was far famous Due to its wide serial "*Al-Hilal*" which contains 23 novels. During Nahda (A cultural movement that flourished in Arabic regions such as: *Egypt, Lebanon and Syria* in the end of 19<sup>th</sup> and the start of 20<sup>th</sup> century.), his motto was to spread the entertainment through *Novel* to the majority of Arab with their own history. One novel inspired by his thought is "Sultan Salahuddin Ayubi", Within it, there is a fiction like love aspects, as well as distorted history. In order to know the artistic status of this

novel, this study will examine it in the style of Arab writers to help new scholars to examine its further works in the same vein.

**Key ord:** *Jurjī Zaydān*, Arabic Literature, Novel, *Salāhud-Dīn Ayūbī*

#### مقدمة

التعبير الجمالي هو في الواقع طبيعة بشرية، وتختلف طرق التعبير الجمالي أيضاً بسبب اختلاف طبيعة البشر، وواحدة من هؤلاء هي الرواية، التي لم تحصل على شهرة خاصة قبل القرون الوسطى في اللغة العربية؛ لأنه كان المقصود فقط سرد قصص الحب، ثم سارت بعد نزول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وفي وقت لاحق سمي هذا الفن بالتعبير عن المشاعر الجمالية التي نشأت في ضوء الجوانب الحيوية لشخصية معينة بأقصى درجات الأمان والصدق، ولكن حتى في وقت لاحق أيضاً، كان للحب والخيال مكانة بارزة فيه بالنسبة لبعض الأدباء الذين ابتعدوا عن الواقع، وأحدهم جرجي زيدان (1861 م - 1914 م)<sup>1</sup>، كاتب عربي مصري وروائي شهير<sup>2</sup>. قدترك العديد من المصنفات في الأدب العربي<sup>3</sup>، وحملت مصنفاته كمؤرخ ولغوي ومعلق سياسي واجتماعي بصمة قوية لنظرته العلمية والتطورية وشكلت منهجه التحليلي في جميع هذه المجالات. وأعطت أعماله نظرة علمانية واضحة لظهور القومية العربية في ذلك الوقت. قدروج العديد من الكتاب العرب الآخرين من المسيحيين (مثل زيدان) والمسلمين لقيم سياسية واجتماعية مماثلة، لكن زيدان كان أحد قادة الحركة<sup>4</sup>، ومن تصانيفه ((تاريخ مصر الحديث مزين بالرسوم))، له جزآن، ((تاريخ العرب قبل الإسلام)) مزين بالرسوم جزواحد، و((تاريخ التمدن الإسلامي)) مزين بالرسوم 5 أجزاء، و((تاريخ الماسونية العام)) مزين بالرسوم جزء واحد، و((تراجم مشاهير الشرق)) مزين بالرسوم جزآن، و((التاريخ العام))، الجزء الأول مزين بالرسوم، و((تاريخ اليونان والرومان)) مختصر، و((تاريخ إنجلترا)) مزين بالرسوم، و((مجلة الهلال))، و((الفلسفة اللغوية))، و((تاريخ اللغة العربية))، و((تاريخ آداب اللغة العربية)) 4 أجزاء، و((أنساب العرب القدماء))، و((علم الفراسة الحديث))، مزين بالرسوم، و((طبقات الأمم))، مزين بالرسوم<sup>5</sup>.

ومفهوم الأدب مختلف عند الأدباء كما يقول الجرجاني: "الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به أنواع الخطأ"<sup>6</sup> ويقول حاجي خليفة: "هو علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً أو خطأ"<sup>7</sup>، و عند مصطفى الغلاييني " هو الأصول التي تعرف بها أساليب الكلام العرب"<sup>8</sup>، وهذه التعريفات مختلف لفظاً ولكن متفق معنى كما هو ظاهر من لفظ العلم المذكور في الثاني والمعرفة المذكور في الأول والثالث. وللأدب قسمان<sup>9</sup>:

1. الشعر

2. والنثر

أقسام الشعر: منها: الشعر المسرحي<sup>10</sup>، الشعر الملحي<sup>11</sup>، الشعر الغنائي<sup>12</sup>، الشعر القصصي<sup>13</sup>

أقسام النثر: منها: الرسائل<sup>14</sup>، الخطابة<sup>15</sup>، المقالة<sup>16</sup>، الحكم والأمثال<sup>17</sup>، القصة القصيرة<sup>18</sup>، المسرحية<sup>19</sup>، فن التوقيعات<sup>20</sup>، الرواية<sup>21</sup>.

هذا البحث متعلق بالرواية، ولذا أبحث فيه عن أقسامها وأجزائها، فمن أقسامها العاطفية والبوليسية والسياسية والوطنية والقوطية والتعليمية والرخيصة والوجدانية والتاريخية وغير ذلك وهذا البحث يتعلق بالرواية التاريخية، وأهم أجزاء بنائها آتية<sup>22</sup>:

#### ● شخصيات الرواية

هي جزء مهم من الرواية، وتتركز الأحداث التي تجري في الرواية حول شيء على غير قيد الحياة أو لا الحياة.

#### ● الحكبة

هي ترتيب القصة على سلسلة المنطقية؛ بأن تقع الأحداث حدثاً تلو الآخر مظهرة الفطرة، ويسماها.

#### ● العقدة

هذا جزء للتشويق في الرواية، وترفعه بحل العقدة في الآخر.

#### ● الموضوع

الموضوع هو الوعظ أو القيمة التي يتم عرضها في الرواية والمحتوى الكامل للرواية تدور حوله.

#### ● الزمان والمكان

الزمان هو على قسمين: الأول خاص كالشهر تدور فيه الرواية، والثاني عام كالقرن أو السنة تجري فيه كل أحداث الرواية، وأيضاً لا بد أن يكون للرواية مكان.

#### ● الحوار

مكاملة شخصيات الرواية هو الحوار، وهذا جزء متركز. نأتي الآن إلى أجزاء فنية لرواية جرجي زيدان "سلطان صلاح الأيوبي"، وقد تحدثت هذه الرواية عن حكم العاضد آخر الخلفاء الفاطميين لمصر بعد أن أصبحت دولة مستقلة لاتعترف بسيادة أحد غير الخليفة الفاطمي، كان أمر الشيعة في هذه الفترة قد ضعف ببلاد فارس والعراق وانعكس هذا الوضع المتردي على مصر، وأصبحت للسلطان نور الدين صاحب الشام، وهو أحد قادة السلاجقة، الكلمة النافذة على مصر، وقد ساعده على تقوية نفوذه ما عرف به الخليفة العاضد من ضعف شخصيته، وكان وزير السلطان صلاح الدين رجلاً طموحاً يسعى للوصول إلى الاستقلال بسلطنة مصر مما دفع جماعة من فرقة الإسماعيليين بقرار من أبي الحسن على أن يبعدوا الوزير عن هذه الخلافة بتهديد منهم، فأبو الحسن هذا من اقرباء المطامع السياسية، وقد طمع أن يكون خليفة، وادعى النسب الفاطمي، وصدق الناس، ولما مات خليفة مصر العاضد بايعه جماعة من المصريين، ثم انكشف أمره لصلاح الدين، وقبض على

رفاقه، ونجا هو بنفسه، فحاول عندئذٍ أن يقنع السلطان نور الدين برغبة وزيره في الاستقلال بمصر للإيقاع بينهما.

ونذكر أن سيدة الملك أخت الخليفة العاضد، كانت وهي ومن معها في حيازة صلاح الدين في قصره لأنه كان قد تولى أمرهم بعد موت العاضد بينما كان عماد الدين وهو من خاصة صلاح الدين، بمهمة لصلاح الدين، وحدث أمر مفاجئ إذ اختطف سيدة الملك على يد بعض الفدائيين بأمر من أبي الحسن انتقاماً منها لأنها كانت قد رفضت الزواج منه وقدر لعماد الدين أن يكون منقذها من العذاب الذي لاقته وهي أسيرة، وأصبح صلاح الدين في مأمن من الإسماعيليين بعد علمهم بخيانة أبي الحسن مع الإفرنج وهكذا نجح عماد الدين في مهمته مما ساعد صلاح الدين على الاستعداد لحروب الإفرنج وفتح بيت المقدس.

#### شخصيات الرواية

1. الخليفة العاضد: هو خليفة مصر وآخر الخلفاء من الفاطميين، هذه شخصية حقيقية.<sup>23</sup>
2. عماد الدين: هو من خاصة صلاح الدين، هو باطل في الرواية، هذه شخصية حقيقية.<sup>24</sup>
3. ست الملك: هي أخت الخليفة العاضد في الرواية، وكانت بطلة الرواية، هذه شخصية حقيقية، كانت سيدة الملك جميلة الخلقة وطويلة القامة وصبوحة الوجه، وذهبية الشعر وجذابة المنظر حينما نظرت في وجهها شعرت بهيبة تتجلى في عينيها.<sup>25</sup>
4. السلطان صلاح الدين: كان هو وزير مصر في الرواية الحقيقية، هذه شخصية حقيقية.<sup>26</sup>
5. نجم الدين: هو والد السلطان، كان هو مشيراً للسلطان في سياسة مصر، هذه شخصية حقيقية.<sup>27</sup>
6. بهاء الدين قر اقوش: هو وزير صلاح الدين وأحد كبار أمراء الدولة العلاحية كان شهماً شجاعاً فاتكا تسلم القصر لما مات العاضد، وعمر سور القاهرة فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه، هذه شخصية حقيقية.<sup>28</sup>
7. عيسى الهكاري: هو خاصة من صلاح الدين الأيوبي في الرواية الحقيقية، وكان من أصحاب أسد الدين شيركويه، ودخل معه إلى مصر، وحظي عنده، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى تولى في ركابه، هذه شخصية حقيقية.<sup>29</sup>
8. السلطان نور الدين زنكي: هو صاحب الشام، هذه شخصية حقيقية.<sup>30</sup>
9. راشد الدين سنان: هو زعيم الحشاشيين هذه شخصية حقيقية.<sup>31</sup>
10. أبو الحسن: هو ابن عم الخليفة العاضد، وكان صفراوي المزاج لمقاوية، وهو محتال طامع لخلافة، هذه شخصية خيالية.
11. شريف الجليس: هو قاصد لابي الحسن في الرواية، هذه شخصية خيالية.

12. ياقوتة: هي خاصة سيدة الملك، وقدر بيت في دارالخلافة وسيدة الملك طفلة هي شخصية خيالية.

13. عبد الرحيم: وهو صديق عماد الدين في الرواية، وكان ابن راشد الدين في الرواية، هذه شخصية خيالية.

14. دبوس: وهو نائب راشد الدين في الرواية، هذه شخصية خيالية.

#### أحداث الرواية ووحدت الزمان والمكان

##### أحداث الرواية (1)

ابتداء الجرجي زيدان روايته اذ يصير السلطان صلاح الدين الايوبي وزير المصر، ثم ابوه نجم الدين يجيئ من الشام الى المصر، فالخليفة العاضد يستقبله استقبالا عظيما مع السلطان صلاح الدين، يهتم لقيامه بيتا عظيما، الخليفة العاضد ونجم الدين والسلطان صلاح الدين يأكلون، ثم يلاقون، اعطى الخليفة العاضد نجم الدين مأساً، ثم نجم الدين والسلطان صلاح الدين يكا لمان مكاملة طويلة، قال : نمهل يا أبتاه، إن هذا الخليفة دعانا إلى نصرته على الإفرنج، وأهل القاهرة أنفسهم راسلوا نور الدين وبذلوا له ثلث بلاد مصر إقطاعاً وأن يقيم عمي أسد الدين عندهم وله الإقطاع هو ورجاله أيضاً، لا أن يقضي مهمته وينصرف كما تقول، ثم نكث وزير اور ولم يف بما وعد فقتلته أنا ، قال نجم الدين بلهجة الشيخ الوقور: (إنك تخاصم نور الدين على غنيمة لاتزال في حوزة أصحابها، ولا يحق التنازع بينكما عليها إلا بعد إخراجها من قبضتهم، وهذا لا يكون إلا بنقل الدعوة من الفاطميين إلى العباسيين ثم نرى بعد ذلك، وهذا يكفي الآن).

وكان لنجم الدين نفوذ على ابنه مثل نفوذ السحر، فاكتفى صلاح الدين بما سمعه وتحول وهو يقول: (أظنك في حاجة إلى الرقاد يا أبي)، وأمر الخدم أن يهيئوا الفراش وذهب كل إلى منامه.

ذات يوم بعد اختتام المجلس عند الخليفة العاضد كان ابوالحسن فقط ويحرص ابو الحسن الدولة، يشد حصى العاضد، وبينهما تكون المكاملة طويلة،،،، الخ، والخليفة العاضد يقول الان على الدولة الكاملة قبض السلطان صلاح الدين الايوبي، انتخب القاضي الذي هو الشافعي، واذن المؤذن اذان الشافعي في المصر، يذهب عند اختى سيدة الملك ويتكلم عن ابي الحسن، فتقول عن ابي الحسن أن هو خائن طامع في الخلافة، انكرت انكار شديدا، بعد يوم ابو الحسن يرسل قاصده الجليس الى العاضد، واخته السيدة الملك موجودة هناك يكالمان، يخبر خطة ابي الحسن، وهي خطة قتل السلطان صلاح الدين.

من الرجال الذين يفعلون هذا؟ فذكر جليس أن فرقة حسن بن صباح، ويقول أن هو مثلنا يتعلق من جماعات الشيعة، ثم يقول أن تباع حسن بن صباح الذين يعرفون انماقتلوا نظام وزير ملك شاه السلجوقي، وفي الوقت امير الجماعة بهرام، حينئذ جليس يتأثر العاضد من اقواله ثم يعطى رسالة ابي الحسن أن ابي الحسن يتمنى أن يتزوج اختك، وارسل رسالة النكاح اليك الذي منها يتغير وجه اخته،

فعاظده يقول أن هذه المعاملة تؤخر، على العنوان بعد الوقت يكالم، هذا انسب لكن هويدلل مزيدا أن هو ابن عمك وهو مخلص لك، على هذه المناسبة تقول اخته.

ثم يقول جليس: أنت صاحب الكرامة ايضاً، وهو صاحب الكرامة ايضاً فأخت الخليفة تقول أن هو انسان ذليل، وهو انسان طامع في الخلافة، فعاظده آخر هذه المعاملة الى فرصة اخرى، ثم الرجال ساروا الى المضاجع، ثم جليس يلاقى الى الحسن، ويقول أن سيدة الملك كان تنكر عن الزواج، وتحبها، ثم يقول أن أنالا أجبها فقط، كنت أفعل المحبة لتحصيل الدولة، ويستطيع أن يقتل الذي شاء، ويستطيع أن يكذب كما هو ظاهر، ابو الحسن يقول أن هو تتشوق في الباطن الى الزواج، وجليس يذهب البيت معجبا.

دخل غرفته فراه جالساً على سريره بلباس النوم وقد أخذته الدهشة، فأسرع إليه وحياه فصاح به صلاح الدين: (ماهذا وأشار إلى الوسادة عند رأسه، فتقدم عماد الدين فرأى خنجراً مسلولاً عليه آثار دم قديم قد القي عند موضع رأس صلاح الدين من الوسادة فأجفل وصاح: (من فعل هذا يا سيدي)، قال: (لا أدري، لكنني صحوت في هذه الساعة فرأيت الحال كما تراها)، فأطرق عماد الدين يفكر فوقع بصره على شيء عند قدمي السرير فإذا هو غمد ذلك الخنجر فتناوله وتأمله فلم يذكر أنه يعرف صاحبه، وبينما هو يتفرس فيه إذ رأى في جوفه بطاقة استخرجها ودفعها إلى مولاه ففضها وقرأها فبانَت البغته في عينيه، ثم دفعها إلى عماد الدين وصفق فدخل عليه أحد الغلمان فأمره أن ينادي الأمير نجم الدين والده حالاً.

أما عماد الدين فإنه قرأ البطاقة وأعاد قراءتها وتناول الخنجر وتأمله وأعاد النظر فيه فقال صلاح الدين: (كيف يدخل الناس علي وأنا نائم داخل هذا القصر والأبواب موصدة ولا يشعر أحد من الحراس).

فأحس عماد الدين أن التوبيخ موجه نحوه لأنه أقرب الحراس إليه فارتج عليه من شدة التأثر، وهم أن يجيب وإذا بنجم الدين قد دخل فلما رأهما في تلك الحال تناول البطاقة وقرأها وإذا فيها:

(من أحد مريدي سيد الإسما عيلية إلى يوسف صلاح الدين).

(اعلم يا يوسف أنك وإن أفلت عليك الأبواب وأقمت الحراس لاتقدر أن تنجو من القصاص، أراك قد بالغت في القحة وتناولت وظلمت ونسيت شيخ الجبل زعيم الإسماعيليين، لو أردت قتلك الليلة لما أبقيت عليك، ولكنني عفوت عنك وأنا منذرك أن تصلح من سيرك، ولا تطمع أن تعرف من أنا فإن ذلك بعيد المنال إذ قد أكون أخاك أو خادمك أو حارسك، وقد أكون خيطاً في عما متك أو شعرة في رأسك، وأنت لا تدري!، وأنا أطلب منك أن تلزم حدك والسلام).

فاستولى السكوت على الجميع لحظة، ثم أشار نجم الدين إلى عماد الدين أن يقفل الباب وأن يجلسوا في خلوة لايدخل عليهم أحد ففعل وقلبه يتقد غيظاً وقد ساءه حدوث هذا الأمر في الليلة الأولى التي تولى فيها الحراسة الخاصة، وأصابه الجمود لا يدري ما يقول، وأدرك نجم الدين قلقه فناداه وابتسم له وقال: (لا تضطرب يا بني ولا يداخلك خوف إنكم لا تعرفون هؤلاء القوم ولا أظن يوسف يعرفهم).

فقال صلاح الدين: (أذكر أي عرفت عنهم شيئاً، ولكن من هم الإسماعيلية هؤلاء؟ وما هذه الجسارة؟ وكيف يستطيعون الدخول علي في غرفة نومي والحرس حولي، صدقوا لم يكن يمنعهم شيء من قتلي). فصاح عماد الدين: (خستوا!،،، إن ذلك بعيد عنهم، إنهم لا ينالون من مولاي السلطان شعرة قبل أن يقتل زعيمهم اللعين).

جلس نجم الدين وأمر عماد الدين أن يجلس وقال: (هل تعرف من هو هذا الزعيم؟ قال: ) ، ( كلا يا سيدي، ومهما يكن من شأنه).

فقطع نجم الدين كلامه وقال: (تمهل يا شاب واسمع ما سأقصة على يوسف من خبر هذا الطاغية الذي يسي نفسه رئيس الإسماعيلية الذين هم في الحقيقة (طائفة الحشيشة)، ووجه خطابه إلى صلاح الدين وقال: (اعلم يا بني أن الإسماعيلية أو الباطنية أو الحشيشة طائفة من الشيعة لها بالدولة العبيدية علاقة قل من يعرفها، ولذلك أجب أن أفصلها لك، إن مذهب الإسماعيلية كان مذهب هذه الدولة عند الفتح وقد نصره ولا سيما الحاكم بأمر الله فإنه أحياه ونشره بمساعدة رجل فارسي اسمه حمزة الدرزي).

(وفي أيامه ظهر رجل فارسي اسمه حسن بن الصباح له حديث طويل مع نظام الملك وعمر الخيام لا محل له هنا، فأنشأ حسن هذا جمعية من الفدائيين وأقام في جبل (الاموت) قرب قزوين منذ أكثر من مائة سنة، وكان يغري رجاله بالفتك بمن شاء من كبار الرجال، ومن جملة الذين قتلوهم نظام الملك وزير السلاجقة وكثيرون من القواد والملوك، كانوا يقتلون ولو يعرف قاتلوهم، أو إذا عرفوا لا يباليون أن يقتلوا في سبيل تنفيذ أمر مولاهم).

وكان صلاح الدين مصغياً لما يسمعه بكل جوارحه فقال: (كأنني سمعت بشيء من هذا القبيل، ولكنني لم أكن أصدقه إذ لا يعقل أن يعرض الرجل نفسه للقتل على هذه الصورة تنفيذاً لأمر مولاه فقط) فاعترض عماد الدين وعيناه تتقدان وقد هاجت الحمية في رأسه وقال: (نعم يا سيدي، هذا أمر معقول، إن الرجل ليفدي مولاه بروحه إذا كان يحبه ويحترمه).

فأدرك نجم الدين غرضه وقال: (بارك الله فيك يا بني لكن مثلك قليل وأكثر الناس يفعلون ذلك طمعاً في شيء، أما الفدائيون هؤلاء فإنما يفعلون ما يفعلونه طاعة لرئيسهم وكفى، وقد اختلفوا في سبب هذا التفاني فيقول بعض العارفين أن ابن الصباح كان يستهويهم بالسحر أو يسقيهم الحشيشة التي تأخذ بالعقل، ولذلك عرفوا بالحشيشة أو الحشاشين ومهما يكن السبب فإن وجود هذه الطائفة خطر على كبار الرجال).

(وكان مقرها في زمن (ابن الصباح) في قزوين بعيداً عن هذه الديار، أما الآن فإن مركزها في جبل السماق من أعمال حلب، ولهم فيه معقل وحصون ودعاة في الأطراف، ولهذه الطائفة تاريخ طويل قبل انتقالها إلى الشام خلاصته أن الرياسة انتقلت بعد ابن الصباح إلى غيره و غيره، وكان رابعهم في (الاموت) منذ نحو

خمسين سنة يسمي حسناً أيضاً ويضيفون إلى اسمه قولهم: ( على ذكره السلام)، وكانت دعوته قد انتشرت في الشام فلما فتحها الإفرنج قربوا الإسماعيليين واستعانوا بهم على المسلمين في مواقع كثيرة سرأوجها، فأذن لهم ملك الإفرنج صاحب حلب أن يقيموا في جبل السماق (جبل النصرية) ونزلوا (بانياس) وزعيمهم يومئذ اسمه بهرام، وفي أيامه تمكنوا من الفتك بطائفة من الملوك والوفاد بمصر والشام، منهم الملك الأفضل أمير الجيوش بمصر، ويقال أنهم فعلوا ذلك به لأنه استبد بالامر بأحكام الله، وبلغني أن الامر تغلب على بهرام وقتله لسبب لا أعلمه، ولعله ساءه قتل أمير الجيوش وإن كان قتله دفاعاً عنه، وطافوا برأس بهرام في شوارع القاهرة هذه، وقتلوا أيضاً كثيرين من الإفرنج بحجج مختلفة، ومن هؤلاء ريمون صاحب طرابلس، ولهم بجبل السماق عدة قلاع حتى الان منها مصياف ومرقب وعليقه والرصافة وغيرها، وهم يعتصمون بها، أما زعيمهم الان فأظنه أدهى الرؤساء جميعاً، واسمه راشد الدين سنان بن سليمان، وأصله من البصرة، خدم رئيس الإسماعيلية في (الاموت) وتفقه في العلم والفلسفة، ثم انتقل إلى الشام وأقام في حلب، وهو أعرج وقد تظاهر بالتقوى والتدين فاجتذب العامة بذلك، ولا تجد شيئاً يستهوي العامة مثل الدين، وبلغني من بعض رجالنا هناك أن سناناً هذا كان يجلس للوعظ على صخرة وهو جامد مثلها فكثير دعواته وكانت دعوته لهم أن يتعاونوا فتغلب على عقولهم بالدهاء أو السحر لا أعلم حتى جعلوا أموالهم مشتركة بينهم حتى النساء والبنات، ثم منعهم من ذلك.

(وبلغ خبره إلى رئيس الإسماعيلية يومئذ في جبل السماق واسمه أبو محمد فاستقدمه إليه، وبعد قليل خلفه وتسلم زعامة هذه الطائفة منذ بضع سنوات فقط، وقد سمعت خبره قبل سفري بقليل، وهو الان صاحب السطوة والكلمة النافذة، وقد التف حوله ألوف من الدعاة الفدائيين الذين يفدونهم بأرواحهم، إذا أمر أحدهم بقتل أمير أو ملك، فإنه سرعان مايتنكر ويدخل في خدمة ذلك الأمير أو الملك بصفة سائس أو خادم أو حارس، ولا يزال يترقب الفرص حتى تسنح له ويغمد خنجره في صدره، فالحمد لله أنهم لم يفعلوا ذلك هذه المرة ولكن تهديد هم هذا أثقل وقعاً من القتل!).<sup>32</sup>

كان ابو الحسن وحده في بيته، وكان يفكر في الزواج من اخت الخليفة، وكان يتمنى أن هو يقتل السلطان صلاح الدين الايوبي، وذهب الى مكتبة القصر، هناك لاقى ضياء الدين الهكاري، جعل يتكلم في امور الكتب، سمعت أن أنت اتيت بكتب جديدة، فقال نعم أتيت بكتب جديدة لنفسه فقط، فقال: احضر عندي كتب التاريخ، ثم احضر عنده كتب التاريخ، وجعل يتصفح الكتب، طالع كتب التاريخ، فوجد على كل صفحة بحث رسالة نكاح طغرل لابنة الخليفة، كيف طغرل تزوج ابنة الخليفة، وابو الحسن استفاد من كل الاشياء الذين طغرل استفاد فرأى الهكاري.

فرأى الهكاري كلام أبي الحسن معقولاً، وأدرك أن عمله هذا خيانة لأهل الخليفة، لكنه نظر فيه من حيث مصلحة السلطان لأنهم إذا أعانوا هذا الخائن على تولي الخلافة كان عوناً لهم فيما يريدون ويهون عليهم أن يخلعوه فيما بعد إذا شاءوا، فضلاً عن أنه يسهل على صلاح الدين التزوج بسيدة الملك على يده فيتم

تديبره، فنظر إلى أبي الحسن نظر متفريس وقال: (أنت مقدم على عمل عظيم فيه نفع كبير لك)، قال: (لا أنكر ذلك ولكنني أخدم مصلحة السلطان صلاح الدين أيضاً من كل وجه، وإذا لم تصغ لرأيي تعبتم جميعاً لأن المصريين قلوبهم مع خلفائهم كما لا يخفى عليك، أرني مهارتك في إتمام هذا الأمر، واعلم أنك ستكون أقرب المقربين)، قال: (لك علي ذلك، سأبذل ما في وسعي في هذا السبيل ونرى ما يكون)، فتحفز أبو الحسن للنهوض وهو يقول: (أنا ذاهب وسنلتقي غداً ولا حاجة بي إلى تنبيهك لأن يبقى ما قلناه مكتوماً عن كل إنسان).<sup>33</sup>

وبعد يوم اشتد مرض الخليفة العاضد، ووصى لسلطان صلاح الدين الايوبي أن يتولى اهلى بعد موتى، مات الخليفة العاضد في سنة ٥٦٢هـ، وبعد موت الخليفة العاضد اعلن ابو الحسن أن يبايع الناس على يده، اذا علم السلطان صلاح الدين الايوبي اعلانه، وقيد الناس الذين يبايعون على يد ابي الحسن، وهرب ابو الحسن من مصر، وذهب الى نور الدين زنكى في الحلب، ودخل على نور الدين زنكى، وقال ابو الحسن: إن وزيرك صلاح الدين لم يطلب طاعة المصريين باسمك، ولكنه طلبها باسمه وزعم أنه هو صاحب الأمر وليس للسلطان نور الدين شيء منه، وقد قاومناه وتامرنا عليه لأننا لانريد أن نعرف غير مولانا نور الدين سلطاناً، وأنا أستغرب كيف لم يبلغ ذلك مولانا السلطان، وقد صرح به صلاح الدين في جلسة علنية، حتى أن أباه نجم الدين انتهره وأمره بالكتمان، ( قال ذلك وسكت.

وكان نور الدين حسن الفراسة فأطرق هنيهة يفكر فيما سمع وهو يعبت بلحيته فلم يعجبه تلك الوشاية من عدو طبيعي لهماء ولا سيما بعد أن سمع اعترافه بأنه كان من المتامرين على صلاح الدين وأدرك أنه لو كان صادقاً في طاعته لم يكن ليساعد على خلع الطاعة بتلك الصورة بل كان عليه أن ينقل خبر صلاح الدين إليه، فترجع لديه كذبه فقال: (و ماذا ترى الان؟)، قال: (أرى ألا يستخف مولانا السلطان العادل بمطامع وزيره فإنه قد جابر باستقلا له بمصر قبل موت الإمام العاضد فكيف به الان؟ فما على السلطان إلا أن يخضعه وأنا في خدمته أفديه بدمي).

قحملك السلطان فيه بعينيه السوداوين، وكاد الشرر يتطاير منهما لشدة الغضب وقال: (لو كنت صادقاً في نصحك لحملت إلينا هذه الوشاية من قبل، قصبرك عليها حتى الان حجة عليك وعلى أصحابك المتامرين، إنما أنتم تامرتم على خلع طاعة نور الدين، بل أردتم نقض بيعة الإمام العباسي لأنه سني، وطمعتم في استرجاع السيادة لأنفسكم!). وكان يتكلم وهو مستلق، وأخذ يرتعد من الغضب فاعتدل يريد الجلوس فأعانه الطبيب على ذلك وندم على الأذن له في الكلام، فأخذ أبو الحسن يتنصل من تلك التهمة وقال: (لم أحسن التعبير عن مرادي يا سيدي، إني أصدقك الخبر، إن ما قلته هو الصحيح، نحن طائعون للسلطان نور الدين و...،). قال: (لو كنتم صادقين لأطعتم وزيرى ونائبي صلاح الدين، لكنكم تعودتم التملق والتذبذب، ما الذي اساء كم به صلاح الدين؟ ألم ترسلوا إلينا شعور نساكم تستغيثون بنا فأنفذنا إليكم عمه شير كويه وقد أنقذكم؟ وهذا صلاح الدين أحمد العصيان وأصلح البلاد وأبطل

الضرائب، فكان ينبغي أن تعرفوا فضله، ولكن قوماً يبلغ بهم الذل أن يستشفعوا بشعور نسايتهم لا يرجى متهم وفاء، ما زلت أذكر سوء وقع ذلك في مجلسنا يوم أتتنا تلك الشعور في المناويل وقد عقد المجلس للنظر في طلب إمامكم، وكان بين الغلمان شاب صغير لم يملك حين رأى تلك الشعور أن تقدم إلي لكي أعطيه خصلة منها حمراء ذهبية، وكان مقرباً من صلاح الدين فدفعها إليه لأرى ما يبدو منه، فلما تفرس فيها قال: (إن صاحبة هذا الشعر الجميل لا تمتهن وهي إما بنت الخليفة أو أخته فإني معيده إليها، فأذنت له بالخصلة فأخذها في مند يلها ولا أدري إذا كان قد وفق إلى ما أراد، فكيف ترجو أن أتو قع منكم وفاء وقد جئتني الان تريد الإيقاع بيني وبين نائي؟، هب أنه أراد الاستقلال بمصر فليأخذها هو فإن البيعة واحدة ولا ترجع لكم، ولما بلغ إلى هنا بان التعب عليه وحول وجهه عن أبي الحسن باحتقار، وأدار له ظهره وعاد إلى الرقاد وهو يلهث من التعب.

أما أبو الحسن فجمد الدم في عروفه من الفشل وأحس كأنما صب عليه ماء بارد، وأخذ يرتعد وقد وقع خبر خصلة الشعر عليه ووقوع الصاعقة لعلمه أنها من شعر سيدة الملك، فأشار إليه الطبيب أن يخرج حالاً لأن السلطان أصابته نكسة بسبب الغضب، فخاف أبو الحسن أن يأمر السلطان بالقبض عليه فخرج مسرعاً واختفى في مكان لا يعرفه فيه أحد ريثما يرى ما يكون. وفي الصباح التالي طاف المنادون في المدينة ينعون السلطان نور الدين (توفي في ١١ شوال سنة ٥٦٩) وتناقل الناس عن سبب وفاته بعد أن تحسنت صحته أنه غضب من بعض الناس فأصابته نوبة ذهبته بحياته، فأسقط في يد أبي الحسن وعمد إلى الفرار وقد تولاه اليأس وأظلمت الدنيا في عينيه.<sup>34</sup>

خرج من دمشق وهو يرغي ويزيد من شدة الغضب والخادم في ركابه لا يجسر على النظر إليه، (حتى إذا مر بالغوطة وصل إلى عين ماء جارية يظللها ويحيط بها أشجار التفاح والسفر جل والمشمش وسائر أنواع الفاكهة وقد دخل الربيع وتفتحت الأزهار وتغنت الأطيار.<sup>35</sup>

أن عماد الدين لاقى في سفره عذاباً، إذ قبض عليه الإفرنج بقرب بيت المقدس لا اعتقاد هم أنه جاسوس وسجنوه مدة تعرف في اثنتائها إلى جرجس كما تقدم، ولم يكن جرجس مسيحياً كما قال وإنما هو من كبار الفدائيين الإسماعيليين واسمه الحقيقي عبد الرحيم بعثه راشد الدين لقتل أموري الإفرنجي صاحب بيت المقدس، فتنكر باسم جرجس واحتال حتى جعلهم يقبضون عليه ويسجنونه ليتكمن في اثناء سجنه من التعرف إلى صغار أهل البلاط على خفايا القصر بحيث يسهل عليه الوصول إلى غرضه، وعدة أولئك الفدائيين في تنفيذ أمر مولاهم راشد الدين أن أحد هم إذا كلف بقتل أحد الملوك جعل نفسه من أصغر خدمه، والغالب أن يجعل نفسه سائساً لجواده ليتيسر له الاقتراب منه عند الركوب والنزول فيغتنم غفلة منه ويغرس في قلبه خنجره. ففي اثناء إقامة عبد الرحيم (أو جرجس) هذا في السجن تعرف إلى عماد الدين وأحبه وتمكنت العلائق بينهما فكاشفه عبد الرحيم بحقيقته وكيف أنه مسلم وأنه احتال بالسجن ليتوصل إلى غرضه ويقتل صاحب بيت المقدس بإشارة مولا راشد الدين، وأخذ يرغبه في هذه الطائفة

وقبالة مقاصدها وشدة تأثيرها، فحمد عماد الدين السبب الذي جره إلى ذلك السجن لأنه كان وسيلة إلى هذا التعارف وسهل عليه مهمته، فأظهر ارتياحه لذلك الرأي ووعده بأن ينتظم في سلك الإسماعيلية بعد خروجه من السجن، وهو يضم أن يجعل ذلك الانتظام وسيلة لتنفيذ مهمته التي جاء من أجلها لقتل راشد الدين، وبذل جهده في اكتساب ثقة عبد الرحيم وأطاعه في تغيير اسمه فجعله عبد الجبار. ولما كانت أيام السجن طويلة لأنها خالية من العمل فيمل المسجونون الفراغ يضطرون لقضاء الوقت بالأحاديث أو الألعاب فقد أخذ عبد الرحيم يقضي معظم الوقت في التحدث عن راشد الدين وكراماته ومقدرته وكيف أنه يعلم الغيب، ويتنبأ عن المستقبل ويحدث الأحجار ويأتي بالمعجزات، وأنه يفعل ذلك لا لطمع في الدنيا وإنما هو ينصر الإسلام، واستشهد على صحة قوله بالمهمة التي أتى فيها لقتل صاحب بيت المقدس، وكان كلما ذكر راشد الدين ثارت الحمية فيه وهاجت عواطفه وأصبح كله ألسنة تنطق بفضائله، فكان لأقواله مع التكرار تأثير في عماد الدين فأصبح يرى وجود راشد الدين قوة عظيمة يمكن الاستعانة بها على الإفرنج إذا تمكن من اكتساب صداقته، على أن ما سمعه من معجزات ذلك الرجل وكراماته وعن جنته وسمائه حيب إليه الاطلاع على حقيقة ذلك، تمكنت هذه الصحبة بينهما، ثم انتهت أيام عبد الرحيم في السجن وخرج وأهل البلاط يحبونه ويرون في وجوده نفعاً لهم لأنه مسيحي يعرف لغة البلاد وعاداتها، فقربوه وهو يبذل جهده في مرضاتهم توصلاً لغرضه، فلما دارت المخابرة بين الحزب العبيدي في القاهرة وبين الإفرنج وانتهت بارسال الوفد اختاروه ليكون دليلاً، فذهب لوداع عماد الدين، وعهد إليه هذا فيما تقدم ذكره، فبذل جهده في خدمة صديقه رغبة في إدخاله سلك الإسماعيلية لأنه انس فيه من الشجاعة والذكاء ما يندر مثاله وهم في حاجة إلى الشجعان.

فلما عاد من تلك المهمة توسط في إخراج عماد الدين من السجن، وأبلغه ثمرة كتابه إلى صلاح الدين وكيف أنه قبض على المتأمرين وقتلهم صلباً إلا أبا الحسن فإنه نجا، ثم دفع إليه كتاباً من صلاح الدين يثني فيه على حميته وصدق مودته.<sup>36</sup> ان عماد الدين لاقى في سفر عذاباً، اذ قبض عليه الإفرنج بقرب بيت المقدس لا اعتقاد هم أنه جاسوس و سجنوه مدة تعرف في أثنائها إلى جرجس كما تقدم، ولم يكن دخل عماد الدين في جماعة الحشاشين بواسطة عبد الرحيم، وقرب إلى راشد الدين السنان، ولاحظ عماد الدين كرامة راشد الدين وصار معتقداً له، احكم راشد الدين لعبد الجبار (سعى عماد الدين اسمه بعبد الجبار في جماعة الحشاشين) أن يقتل لشيخ سليمان. فقال لعبد الجبار ان قتلته فزوجتهالك وما له لك، ثم قتل عبد الجبار الشيخ سلميان، وارسل خادمين في حصن لشيخ سليمان ان يجيئاً بزوجه، وهو واقف على باب الحصن. اخبر عبد الرحيم لشيخ سليمان اعلم ان مولانا. سار عماد الدين وسيدة الملك الى المصر فاستقبلهما السلطان صلاح الدين وبين عماد الدين كل الاحداث لسلطان وزوجها السلطان.

أعلم أن مولانا الشيخ هذا كان صديقاً للشيخ راشد الدين سنان رئيس الإسماعيلية الآن قبل أن صار رئيساً، وقد أعانه و ارتكب معه أموراً كثيرة حتى تمكن راشد الدين من هذه الرياسة، فحسده صاحبنا

فأراد أن يعمل عملاً يفوق به على صاحبه فذهب إلى مصر وطمع في الخلافة؟! فضحك الآخر وقال: (الخلافة؟! قال: (نعم طمع أن يكون خليفة وسمى نفسه أبا الحسن وادعى النسب الفاطمي وصدقه الناس، ولما مات خليفة مصر العاضد بايعه جماعة من المصريين، ثم انكشف أمره لصلاح الدين وقبض على رفاقه ونجا هو بنفسه وجاء الشام، وأنت تعلم ماجرى بعد ذلك، وكيف كلف بعض الفدائيين الذين يقتلون القتييل بدرهمين فاخطفوا له هذه المرأة من بيتها وهي تكرهه ولا تطيق أن تراه).<sup>37</sup> ولما سمع عماد الدين ذلك الصوت اقشعر بدنه لأنه كثير الشبه بصوت سيدة الملك، وحدثته نفسه أن يتقدم ليراها ولكنه صبر ليسمع ما يدور بينها وبين الخادم، فإذا هو يقول لها: (إن سيدي الشيخ بعث يطلب مولاتي إليه في هذا الحصن). فصاحت فيه: (إلى أين؟ من هو سيدك هذا ما بالكم ترعجوتني بالا سئلة، دعوني أنم لحظة لكي أنسى فيها مصائب). قال: (لا تغضبي يا سيدتي، إن مولاي بعث رسولاً خاصاً من خدمة الشيخ راشد الدين لكي يحملك إليه بما تريدين حمله من متاعك وثيابك و...). فقالت: (لا، لا أذهب إلا محمولة على خشبة، دعوني منه، لعنة الله عليه، ويا ويله من الله ومن يوم الدين، اه، اه، حملي إلى بلاد ليس فيها من يعرفني ولم يشفق على قلبي، اه، اه، كل بلائي من هذا القلب!). وأصبح عماد الدين يرتعد من عظم التأثر لأن الصوت صوت سيدة الملك، ولو كان عالماً بما بينها وبين أبي الحسن لما شك في أنها هي، لكنه استبعد وصولها إلى هناك وهي في ظل صلاح الدين، وإنما ارتعد انتصاراً لا امرأة مظلومة إكراماً لحبيبته لأنها من جنسها، وزادت نغمته لأن صوتها يشبه صوتها، ثم سمع الرجل يخاطبها قائلاً: (و الان يا سيدتي ماذا تريدين أن نفعلاً لا بدلنا من أخذك إليه حسب أمره وهذا رسوله واقف بالباب وليس في الا مكان رد طلبه، فالأوفق أن تنهضي راضية). فلما سمعت تهديده صاحت صيحة وقف لها شعر عماد الدين قائلة: (أتهددوني بالآخذ قهراً؟ يريد هذا الشقى ان يحملني على أيدي اللصوص كما خطفتني من مصر بأيدي أتباعه قبل الان؟) ثم خفضت صوتها وغصت بدموعها وقالت: (ولكن الله بعث إلي في تلك المرة ملاكاً شجاعاً أنقذني من مخالب الموت وأنقذ شرفي وحياتي)، ثم تنهدت وقالت: (اه، أين أنت يا عماد الدين؟). فلما سمع عماد الدين نداء هالم يتمالك عن الوثوب كالأسد الكاسر وقد تحقق أن تلك المظلومة حبيبته سيدة الملك وأجابها: (لبيك ، لبيك ، يا سيدتي). وما لبثت بعد أن سمعت صوته حتى رآته أمامها وقد أزاح الخادم بيده وتقدم نحوها وهو يقول: (مولاتي سيدة الملك أنت هنا في هذا العذاب؟).

فشخصت إليه شخوص الأبله كأنها أصيبت بجنة وقد جمدت عينها وعقد لسانها ولم تعد تستطيع النطق، لكنها تماسكت وتوهمت نفسها في حلم فقالت وصوتها يتقطع وهو مختنق: (عماد الدين؟ عماد،، الدين؟! اه،،، يا ليت ذلك كان في يقظة!). وغطت وجهها بكفيها وأخذت في البكاء، فتقدم عماد الدين نحوها وقد تقطع قلبه لرؤيتها في شدة الضعف، ولو أنه شاهدها بدون أن تناديه لما عرفها، فأمسك بيدها وقال: (أنت في يقظة يا سيدتي، أنا عماد الدين، أنت في يقظة وروحي فداك فلا تخافي). فلما سمعت صوته فتحت عينيها والدمع يغشاها ونظرت إليه وهو في زي غير زيه، لكنها عرفت صوته

وتفرست في وجهه وهي لا ترى شيئاً من الدمع فمسحت عينيها بكمها فعرفت عينيه فصاحت: (عماد الدين! أنت عماد الدين؟ من أرسلك إلي؟، لا، لا، لست عماد الدين، أنت خادم ذلك الخائن جئت لتأخذني إليه، يا الله قل لي، هل أنت عماد الدين؟)، وضحكت كالأبله المعتوه وقالت: (أنت عماد الدين؟، أن المعجزات لا تتكرر، نعم أتى عماد الدين لانقاذي في مثل هذا الضيق فيا ليته يأتي الان)، ثم سكتت كأنها استرجعت رشدها ومسحت عينيها ثانية ونظرت إلى عماد الدين نظر متفرس وهو جاث بين يديها وعيناه شاخصتان في عينيها وقلبه يتفطر، فما لبثت أن تحققت أنها ترى عماد الدين فصاحت ملء فيها: (عماد الدين! عماد الدين!) وترامت عليه وقد أغى عليها، فأنهضها وتراكم الخدم بالماء فرشها به وأخذ يمسح وجهها وعينيها بمنديله، وسقاها جرعة من الماء فانتعشت وأعدت النظر إلى عماد الدين وهي تضحك ضحك طفل استرجع شيئاً كان يبكي لفراقه. لكن تلك الضحكة أبكت عماد الدين وقد شق عليه أن يرى الملكة أخت الخليفة قد ذهب ملكها وصارت أسيرة في حيازة صلاح الدين ثم سيقت كرهاً مع ذلك الشيخ اللعين، لكنه حالما تذكر أنه قتله سرى عنه وعاد إلى تطمين سيدة الملك وقال: (صدقت إني يا سيدتي عبدك عماد الدين). فصاحت: (ألا تزال تقول أنك عبدي أنت سيدي وتاج رأسي، أنت منقذي من الموت والعار مرتين، أنت روجي، أنت حياتي، أنت، اه، دعني لقد خلعت العذار)، وغطت عينيها خجلاً فانتبه عماد الدين لوجود دينك الخادمين وكان قد عرف كرههما لأبي الحسن وشفقتهم على سيدة الملك فقال لكبيرهما: (ربما استغربتما ما رأيتماه في هذه الليلة وقد علمت أنكما ناقدان على ذلك الشرير، وإن قلبكما مع هذه، أليس كذلك؟)، قال زلك ومديده إلى جيبه وفيه نقود أبي الحسن وأعطاهما بلا حساب فأعجبهما كرمه وأريحيته وأجابه أحدهما: (صدقت، ويظهر أنك لست خادماً كما ادعيت، بل أنت أمير أرسلك الله لأنقاذ هذه السيدة، إنها قطعت قلبينا وأوشكنا أن نأخذ بيدها ونخلصها من ذلك الظالم). فقال: (إذن أنتما مسروران بنجاتها). قال: ونحن رهينا الإشارة في أي خدمة تريدها منا ولو كانت قتل ذلك اللعين). قال: (لا حاجة إلى قتله فقد كفانا الله شره في هذه الليلة، وهذه النقود التي كانت معه اعطيتكم بعضها وهذا البعض الآخر)، ودفع إليهما دفعة أخرى، فزادهما دهشة فقال أحدهما: (قتلته؟، لا رحمه الله). وكانت سيدة الملك تنظر إلى عماد الدين وهو يخاطب الرجلين نظر الإعجاب والحب وعيناها غائرتان من الضعف والهزال وقد امتقع لونها، فلما سمعت التحدث بقتل أبي الحسن قبضت على عماد الدين واجتذبتة نحوها وهي تقول: (قتلته؟). قال: (نعم وكنت أود إني عرفته قبل قتله لأشبعه قتلاً وأخبره وهو في حشجة الموت إني قتلته في سبيل طاعتك انتقاماً لفضاعته). وقص عليها عماد الدين مهمته لمصلحة صلاح الدين وما قاساه من العناء وكيف انتهت بالفوز وأصبح صلاح الدين في مأمن من الفدائين، فلما سمعت اسم صلاح الدين أشرق وجهها وقالت: (بارك الله في صلاح الدين إنه نادر المثال)، فضحك وقال: (ألم أقل لك ذلك في اخر ليلة رأيته فيها وأنت ناقمة عليه؟). قالت: (لم أكن أعرفه، وفي كل حال فإني أمتدح مروءته وعلوهمته، وأما أنت فكنت تمدحه في معرض آخر،، فهو في ذلك المعرض مازال حكيم

عليه كما كان، ولا سيما إذا قابلته بعماد الدين). وضحكت وكانت تتكلم وعيناها شاخصتان فيه تكاد تتلفه بهما، ثم جاء الخادمان وقد أعدا الركائب وشدا الأحمال فركبوا جميعاً وقد توسط الليل وأطل القمر من وراء جبل السماق، فتذكر عما الدين صديقه عبد الرحيم وما أوصاه به فلما أمعن في السهل أمر الرجلين أن يوقدا مشعلاً مزدوجاً ففعلاً.<sup>38</sup>

#### وحدة الزمان والمكان (ب)

ذكر جرجى زيدان في روايته، كان السلطان صلاح الدين الايوبي وزيرالمصر، مدينة المصر مكان. وهو المكان مطابق لكتب التواريخ.<sup>39</sup> ذكر جرجى زيدان، ان يفوت السلطان نور الدين زنكى في الدمشق، مدينة الدمشق مكان، وهو المكان مطابق لكتب التواريخ.<sup>40</sup>

#### ذكر جرجى زيدان تلك التواريخ

1. ابتدأت خلافة الفاطميين في سنة ٣٥٨ هجرى<sup>41</sup>

2. ابتدأت خلافة الخليفة العاضد في سنة ٥٥٦ هجرى<sup>42</sup>

3. فات الخليفة العاضد في سنة ٥٦٧ هجرى<sup>43</sup>

4. فات نجم الدين الايوب في سنة ٥٦٨ هجرى<sup>44</sup>

5. فات اسد الدين شركويه في سنة ٥٦٢ هجرى<sup>45</sup>

6. فات نور الدين زنكى في سنة ٥٦٩ هجرى<sup>46</sup>

هولاء التواريخ مطابقة لكتب التواريخ

(أ)، الحوار والسلوب في الرواية

الحواريين السيدة الملك والخدمة:

قالت: ((ماذا يجرى ياسيدتى، هل حدث شئ جديد؟)). قالت: ألا يكفى ما جرى مما تعلمينه؟ انت عاقلة لا يخفى عليك شئ وتعلمين حالنا مع هولاء الاكراد و استبدادهم في الدولة، وهذا اخى جاءنى اليوم و قد اصابته الحمى من شدة الغيظ لما صارت اليه الخلافة، فكيف لا ابكى؟)). قالت: ((لا بأس من البكاء و لكن لا فائدة، وانما الفائد بالصبر و الحكمة حتى يقضى الله بما يشاء فلكل امر نهاية، و انما،)). فقطعت كلامها قائلة: ((لا، لا، ليس لهذه الكارثة نهاية الا بالموت، من ينفذنا من هولاء الاكراد و قد وضعوا ايديهم في كل شئ حتى دارنا هذه فإن عليها حرسا من رجالهم؟)). وبلغت يقها و مسحت دموعها و هى تستعد لاستئناف الحديث ثم قالت: ((و هذه كله هين يا ياقوتة؟، كله هين سهل بالنظر الى امر آخر جاءنا به الجليس من عند أبى الحسن في هذا اليوم)). فتناولت ياقوتة بعنقها و قلت: ((وما هو يا سيدتى)). قالت: ((جاءنا بمهمة يزعم انها تنجيننا من هذا الضنك، ولكنها اذا صحت أوقعتنا فيما هو اشد وطأة و اصعب مراسا)). قالت ياقوتة: ((و هل اشد وطأة من هذا الحال يا سيدتى؟)). قالت: ((نعم اشد وطأة منها ان يكون ذلك الكهل الوقح وليا للعهد بعد اخى حفظه الله!)).<sup>47</sup>

### الحواريين السيدة الملك والخادمة

قالت: ((ما بالك يا سيدتي يا حبيبي، لماذا تكتمين همك عني؟))، فقالت ولسانها يتلعثم: ((اخاف ان تضحكى منى او تهزئى بي))، قالت: ((معاذ الله ان أفعل ذلك و كيف أفعله ولماذا؟))، قالت: ((لأنى أحب رجلا لا يخطر ببالك إنى أحبه و لو علم أخى به لا ستغرب عملى و حسبنى مجنونة!))، و سكتت و هى تتشاغل با صلاح شعرها تحت راسها و رفع الغطاء اصلاحه، فوقعت يا قوته فى حيرة، و لم تفهم حقيقة مرادها او لعها ادركت قصدها و تجاهلت لتسمع زيادة، ثم قالت: ((لم افهم يا سيدتى مرادك، من هو الرجل الذى وقع من نفسك هذا الموقع لا بد ان يكون نادرة الزمان))، قالت: ((انك تعرفينه جيدا، قد رايتته فى هذه الدار كما رايتته، وشهدت انت نفسك انك لا تعرفين اشرف منه خلقاً و لا اكبر همة و لا اعز نفساً، رايتته و بيده خصلة الشعر التى كان أخى قد بعث بها الى صاحب دمشق يستغيث به باسم نساء قصره، ان اخى ارتكب بذلك ذلالم يمحة الا هذا، فرد على شعري بعد ان أنفذ حياتى من الموت و نجى شرفى من الدنس))، فصاحت ياقية: ((اظنك تعنين الشاب الفردى))، فابتدرتها بلهفة و قالت: ((نعم اياه اعنى، اعنى ذلك الشهم الباسل!)) قالت ذلك و قد عاد اليه اليها نشاطها و تحمست وبان الاهتمام فى عينها. فتقدمت ياقوته اليها و هى تبسم و قد شاركتها ذلك الشعور و قالت: ((الآن فهمت المراد، قد عرفت الشاب جيدا ولا أنسى ذلك اليوم))، فقالت سيدة الملك: ((هل عرفت اسمه؟))، فاطرقت الحاضنة و اعملت فكرتها كأنها تراجع ذاكرتها ثم قالت: ((نعم علمت اسمه، ولكن هل تعلمين انت من هو و ما هى علاقته بصلاح الدين عدونا الألد الذى يشكو اخوك امير المومنين ظلمه؟))، قالت: ((لا، لا اعلم))، قالت: ((انه من رجال خاصته، لا يخطو خطوة الا و هو معه))، قالت: وهى تبتسم: ((فهو اذن قد نال ثمرة تلك المناقب السامية فتقدم عند مولاه، وما اسمه؟))، قالت: (( اسمه عماد الدين، وكثيرا ما رايتته واقفا بباب قاعة الذهب فى انتظار صلاح الدين و هو عند مولانا امير المومنين.<sup>48</sup>

### الحواريين المحبين

قالت: ((لا باس عليك من كشف هذا الوجه بين يديك فانك صاحب الفضل فى بقائه، أنك تستغرب وجود رجل يستطيع ان يرانى فى ذلك الخطر و لا يفدينى بروحه، لا تستغرب ذلك يا عماد الدين فقد كان فى قصرى عشرات من أهلى و عشيرتى لم يقدم احد منهم على ما أقدمت عليه، و كأنك كنت على موعد من تلك الساعة، فدفعت إلى بخصلة الشعر صيانة لها ولى، فهل ألام اذا نظرت اليك نظرى الى ملاك هبط من السماء لانقاذى؟، ولكنى لا اعلم كيف كان شعورك فى تلك الساعة. فرأى فى اطرائها اشارة إلى حبها، لكنه كذب نفسه عاد إلى الانكار فقال: ((أما شعورى فهو انى وأنا فى خدمة مولاي السلطان صلاح الدين، وقد امرنا ان نكف عن رمى النفط، وقع بصرى على زجاجة نفط سقطت فى هذه الدار و انا على يقين إنها ليست من عندنا فاستغربت وقوعها، ثم رأيت ندلا اغتنم اشتغال اهل القصر بانفسهم و دخل كالذئب الكاسر و معه اناس ارادوا القبض عليك، فلم اتمالك عن الوثوب عليهم، و لم أكن أعلم أنهم يريدونك و لا أنك

سيدة الملك اخت الخليفة، فلما اتجه نظري اليك و رايت هذا الشعر الذهبي علمت انك هي، و كانت الخصلة في حبيبي فدفعتها اليك)). فلما سمعت اسم صلاح الدين اجفلت، لكننا مالت الى معرفة قصة خصلة الشعر فقالت: ((من اين وصلت هذه الخصلة اليك؟)). فتوقف عن الجواب حتى خاف ان ترتاب فيه ثم قال: ((اتيت بها من دار السلطان نور الدين صاحب دمشق، مالنا و لهذا؟ و قد سالتني عن شعورى في تلك الساعة فهو انى شعرت بحمية لم أستطع دفعها ووثبت لمقاومة أولئك الاشرار و أنا لا اعرفهم ولا اعرف على من هم واثبون، فلا فضل لى على سيدة الملك لأنى لم اكن اعرف إنها هي المقصودة بالأذى و إنما فعلت ما فعلته مدفوعا بالمروءة)). و كان يتكلم و هي تنظر اليه تتلقفه بعينيها فلما وصل إلى ذكر المروءة صاحت فيه: ((من اجل هذه المروءة شعرت بهذا الشعور و رغبت في استقدامك لاعترف بجميلك)). فخجل من هذا الاطراء و قال: ((العفو يا سيدتى إن مثلى لا يستحق هذا الاطراء من اخت امير المؤمنين، لأننا عبيد و يجب علينا التفانى في الدفاع عن صاحب هذا المقام السامى)). قالت: ((اسمع يا عماد الدين، ليست عبدا، ولو انك اندفعت الى هذه المنقبة لاجل اخت الخليفة لقلنا انك فعلت ذلك تقريبا من امير المؤمنين، ولكنك انما دفعك اليها نفس ابية و همة عالية و اريحية و مروءة لا نعهد مثلها فيمن نعرفهم بين اظهرنا من الامراء و ابناء الخلفاء، فهذه الخصال رفعت قدرك جعلتك في مصاف الملوك،،، لا تقل إنك عبد، معاذ الله بل انت امير من أعظم الامراء و ستكون كذلك قريبا اذا شئت))، وظهر في عينيها معنى لم يترك لعماد الدين سبيلا للتجاهل، و اعجبه قولها انه سيكون اميرا وهو في ذلك اليوم اوشك ان يصير من الامراء بما أنسه من اعجاب نجم الدين به و تقديمه، و تذكر المهمة التى هو ذاهب فيها و ما وعده به نجم الدين اذا فاز بها، فتفاءل من مطابقة و قولها قول نجم الدين انه امير و سيصير اميرا عن قريب، ثم انتبه فجأة الى أنه قد مضى هزيع من الليل فخاف ان يطول الكلام في تلك الجلسة، ولم تعجبه مقدمات الحديث لعلمه بما طلبه صلاح الدين من اخيها، و خيل له انها استقدمته لأمر يتعلق بذلك الطلب اذ لا يزال يستعبد ان يكون هو المقصود به، فاراد أن يتحقق ظنه فقال: ((اذا صرت شيئا المذكورا فانما يكون الفضل فيه لمولاناى سيدة الملك لانها احسنت الظن بعبدنا فقدمه مولاه السلطان صلاح الدين في مساء، امس حتى جعله اقرب اعوانه اليه)). فلما سمعت ذكر صلاح الدين للمرة الثانية اجفلت و انقبضت نفسها و تذكرت ما جرى لها بسببه و لم يعجبها اقتران اسمها باسمه في هذا الموضوع لكنها سرت لقوله ان صلاح الدين قدمه فقالت: ((لا غرابة في تقديمك فانت اهل لأكثر من ذلك، انك امير و سيد و ستنال مقاما لم ينله صلاح الدين و لن يناله هو ولا غيره من السلاطين او الامراء، هذا اذا شئت))، و تلعثم؛ لسانها و غلبت على امرها و ابرقت عيناها و بان الحياء في محياها فاطرقت، و كانها ندمت على ما فرط منها فجعلت تتشاغل بتثنية طرف جديلتها المرسله على صدرها من تحت النقاب. اما هو فلم يبق عنده شك فيما تعنيه و استعظمه منها و حاجت عواطفه و احس بانعطاف جديد نحوها بعد ان سمع تصريحها انها تحبه وانها تفضله على صلاح الدين، لكنه تذكر ان مولاه صلاح الدين يريدنا

مع انه لا يرجو ان ترضى به فاستنكف ان يقوم مقامه او يقف في سبيله او يعتدى عليه و هو صنيعته و قد صمم ان يفتديه بروحه، فلم يتمالك عن النهوض و قال: ((ان سيدتى بالغت في اطراء عبدها كثيرا فأنا صنيعة مولاي السلطان و لا اخفى انى ذاهب اللية في مهمة تخصه و اخاف ان اتأخر عنه اذا أطلت المقام هنا)). فامسكت بيده و اقعدته و قد بانت انفة الملوك في وجهها وقالت بصنيعة المر: ((لا، لست عبدا لأحد و لا صنيعة احد، و قدقلت لك انك امير و سيد، لا، لاينبغى ان تذهب في خدمة أحد أنى في حاجة إليك وقد استصرختك، اين حميتك و مروءتك؟)). فلما قبضت على يده سرت الرعشة في اعضائه و قعد بالرغم منه، لكنه لما سمع كلامها خاف ان يغلب على امره فقال و هو يتحفز لنهوض ((إن هذه المروءة نفسها تحملنى على الذهاب الآن لأنى تعهدت بأمر لا بد من الذهاب فيه و هو يخص مولاي الخليفة، و اذا كانت مولاتى ترى في هذه المناقب و انا صنيعة صلاح الدين و خادمه فكيف لو عرفته هو؟)). فنقرت من هذا الجواب و كانت لا تزال قابضة على يده فتركتها و اعرضت بوجهها و هى تظهر الغضب فتصدت الحاضنة ياقته و قالت: ((ما هذا يا عماد الدين؟ تخاطبك مولاتى من الشرق فتجيبها من الغرب الم تفهم مرادها؟)). قال: نعم فهمت و يسرنى رضاها عنى و قد غمرتنى بفضلها و انعامها. ولكننى صنيعة السلطان صلاح الدين و انا ذاهب في خدمته))، و تحول نحو سيدة الملك و قال: ((لماذا غضبت منى يا سيدتى انما التمس رضاك؟)). فسرها عتابه فالتفتت نحوه و عيناها تعاقبه و قالت: لأنى اخاطبك و اطلب الجواب عن نفسك فتجيبنى عن صلاح الدين، مالنا و له؟ دعه في سلطانه انه لا دخل له في هذا الحديث، الم تفهم؟)). فتحير عماد الدين في امره و ارتج عليه و علم انها لا تريد صلاح الدين وأوشك ان يغلب على عقله، ومن الذى يقف هذا الموقف و لا يغلبه الهيام و يتسلط على قلبه؟، لكن عماد الدين كان قوى الارادة شديد الاحترام لصلاح الدين و كان تلك الليلة في شاغل عن كل شئى بامر زعيم الاسماعيلية و سفره فتجلد و نهض بلطف و هو يقول: ((قد فهمت يا سيدتى على قدر امكاني واذا لم افهم فلانى ارى نفسى لا استحق هذه النعمة، ومازلت ارى مولاي صلاح الدين احق بها، ولا تغضبى يا سيدتى، ان صلاح الدين لم تعرفيه، ولو عرفته لضربت بعماد الدين عرض الحائط و مع ذلك فانى طوع امرك و لكن!،،،)). فقطعت كلامه و توجهت نحوه و هى تبتسم و الدمع يتلألأ في عينيها وقالت: ((لا تقل و لكن، بل قل انك تطبعنى فيما اطلبه)). قال: ((اطيعك في كل شئى و لكن بعد رجوعى من هذا السفر، ان سفرى لا بد منه و قد اقسمت ان اكون في صباح الغد خارج هذا البلد، و مضى بعض الليل و انا لم اتحرك من مكاني، فبالله اسمعى لى بالانصراف الآن)). فقالت والدهشة ظاهرة في وجهها: ((تنصرف الآن الى اين؟)). قال: ((الى منظره الولوة و من هناك اركب حالا و اسافر)). قالت: ((تسافر؟ و يلاه الى اين؟)). قال: ((في غرض يختص بمولاي السلطان!)). فاطرقت و هى لا تدري ما يقول فخاف ان يجر حديث الى ما لا يقوى على دفعه و قد احس ان الحب كاد يستولى على ارادته و هو حريص على القيام بوعده و لا سيما بعد ان اقسام و صمم فقال: ((اسمعى لى يا سيدتى بالانصراف، واعلى انى رهين امرك، ولولا ما سبق من تعهدى بامر السفر لما

خالفتك في شئ ولكنى ساعودسالمما ان شاء الله و عند ذلك لا ترين منى الا ما يرضيك استودعك الله  
الآن)).<sup>49</sup>

#### الحوار بين السيدة الملك والخادمة في ذكر عماد الدين

فقالت: ((عماد الدين، عماد الدين! اين هو؟، سمعتهم ينادونه)). فقالت: ((اين هو يا سيدتى؟، انه ليس  
هنا، انك ترين حلما، الا تعلمين انه مسافر؟)). فأزاحت شعرها عن جبينها و تفرست فيما حولها و عيناها  
تدلان على اضطرابها وارتيابها و قالت: ((أنه مسافر؟ أه ما أطول هذا السفر أنى سمعت اسمعه في  
الحلم، ياليتنى ظللت نائمة لعلى اسمع ذكره مرة ثانية او ربما تراءى لى طيفه)).، قالت ذلك و اغرقت في  
البكاء. فأكبت ياقوتة عليها و اخذت تخفف عنها و تقول: ((لماذا تفعلين ذلك يا سيدتى، ماذا اصابك؟ أين  
تعقلك و حكمتك؟)). فاجتذبت نفسها من بين ذراعيها و هى تقول: ((لا تذكرى التعقل و الحكمة، لا محل  
لهما مع الحب ياقوتة،، بالله ماذا جرى لى، ويلاه لم اعد اخشى التصريح بما فى قلبى، لكننى حبسته زمانا  
حتى كاد يقتلنى، تدبرى الأمر اسعفينى، أه يا عماد الدين)).، وعادت إلى ألبكاء، فجثت ياقوتة بين يديها و  
قالت: ((هو نى عليك يا مولاتى و اتكلى على، لماذا لم تفتحينى بهذا الأمر من قبل؟)).، قالت: ((وما الفائدة  
من الكلام؟، ها أنى قد كلمتك اخبرينى اين عماد الدين ما العمل للوصول اليه، الم تلعنى مقره، الم تسألنى  
أحدا عنه؟ قولى)).، قالت و هى تمسح دموع سيدتها بمنديلها: ((نم سالت عنه و قد علمت من الاستاذ  
بهاء الدين قراقوش انه سار بمهمة سرية اذا نجح فيها صار رجلا عظيما يليق بسيدة الملك، و هذا امر ذو  
بال يا سيدتى لان بنت الخليفة وأخت الخليفة لا يليق بها ان تتزوج بواحد من عامة الناس و،،، و،،)).،

فقطعت كلامها قائلة: ((لا تقولى خليفة ولا عامة، أننى اسيرة فى هذا القصر و هو طليق، و قلبى اسير ايضا  
ولا ادرى اذا كان قلبه كذلك)).، و شرقت بدموعها. فاخذت ياقوتة تضمها و تمسح دموعها و تقبلها و  
تقول: ((خفى عنك يا سيدتى، وارجعى الى رشدك و اصبرى، لنرى ماذا نعمل)).، قالت: ((ماذا نعمل قد طال  
غيابه ولا ادرى ما اصابه)).، قالت: ((لم يصبه شئ ولا بد من عودته ظافرا و يصير من كبار الرجال، و اذا  
علم صلاح الدين بميلك اليه زاده رفعة و تقدما، يظهر انك نسيت هذه النعمة، نسيت التفات صلاح  
الدين اليك و معاملته اياك معاملة الاخ لاخته؟)).، قالت: ((كلا لم انس ذلك ولولاه لقضيت حزناً و  
كابة،، ولكن ما الذى اسمعنى اسم عماد الدين فى هذه الليلة؟)).، قالت: ((لعل ذلك فاتحه القرب تمهلى الى  
الغد لنرى ما يكون)).، وأشارت اليها ان تعود الى الرقاد فاطعتها و نامت و انصرفت ياقوتة الى غرفتها و هى  
تفكر فى سيدتها وقد ندمت لسكوتها عن ذكر عماد الدين كل هذه المدة على انها اعتقدت ان سيدتها لم  
تسمع اسم عماد الدين عبثا و انه لا بد من شئ يحدث بشانه.<sup>50</sup>

(ب) الأسلوب

أسلوب منظر الخليفة وقادمه

هل تظن أن الخليفة يلبس القصب؟ انه لباس بعض اتباعه، أما الذين تراهم في مقدمة الموكب فهم الامراء وأولادهم واختلاط من العسكر، ووراء هم أرباب القصب ثم أرباب الاطواق واساتذة وهم اكبر رجال الدولة، أنظر الى السبتهم، الفاخرة التي تأخذ بالابصار والى سروج خيولهم المفضضة، ومن في ركابهم من الخدم الاتراك وغيرهم، ان ذلك كله ليس شيئاً بالنظرالى موكب الخليفة أنظر، انظر، هذا هو موكب الخليفة عند تلك المظلة.<sup>51</sup>

#### منظر فرس الخليفة و افراس الوزراء والامراء

تأملها جيداً ان سرجها من الديباج الأحمر مصوغ بالذهب ومنزل فيه الميناء ولوتأملت مقدم السرج لرأيت عليه أحجاراً كريمة، وفي عنق القرس قلائد الذهب، ولو استطعت النظرالى قوائم الفرس لرأيت حولها الخلاخل الذهب، ويقدررون كل فرس بما عليها من العدة بألف دينار، وأفراس الوزراء والامراء أيضاً في مثل هذا الترتيب وهي كلها في الاصل هدية من الخليفة يهبها لامرائه في الاعياد،<sup>52</sup>

#### منظر لباس الخليفة

فكيف بما يلبسه الخليفة؟ انظرالى هذه المظلة فانها تشبه الهرم بشكلها وهي من الديباج الازرق السماوى وثوب الخليفة تحتها في هذا اللون ايضاً، ولوكانت حمراء لكان ثوبه أحمر، انظرالى الاهلة الذهبية التي تتدلى من حواشى المظلة وكيف أن أضلاع المظلة أوقوائها ملبسة بالذهب، وفي قممها رمانة ذهب كبيرة فوقها رمانة ذهب صغيرة مرصعة بالجواهر، انظر الى لمعانها فإنه يخطف البصر،<sup>53</sup>

#### منظر عمامة الخليفة

انظرالى هذا العمامة على رأس الخليفة فانها بيضاء وشكلها أهليجي، وفي أعلاها فوق ألبهة حلية بشكل الهلال من ياقوت أحمرليس له مثال في الدنيا، وفي وسط الهلال جوهرة عظيمة مشهورة يقال لها اليتيمة لايعرف لهاقيمة، ويقال أن وزنها 2 دراهم ووزن الهلال كله 11 مثقالاً، وبدائرة اليتيمة قصبه زمرد ذبابي له قدر عظيم.<sup>54</sup>

#### منظر الجماعة

((هذا والى القاهرة يحافظ على ترتيب الموكب ليسهل مروره ويمنع الازدحام، انظرالى الذين وراء دابة الخليفة، هناك جماعة من الصبيان يقال لهم صبيان الركاب يحملون الصماصم المصقولة المذهبة بدل السيوف المحدبة، و بأيديهم الديايبس من الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة مخرسة، وبعضهم يحملون عمدا الحديد وبين أيديهم لواء الحمد المختص بالخليفة وحوله 21 راية على كل منها كتابة بالحريير تختلف ألوانها.<sup>55</sup>

#### منظر القصر

ووصل الموكب قبيل الغروب الى القصر الكبير الشرقى من قصور القاهرة وهو مجموع قصور ربما زاد عددها على بضعة عشر قصراً، منها قصر الذمرد، قصر المظفر، قصر الاقبال، وقصر البحر، وقصر الحريم، وقصر الشوك، و دار الوزارة، ودارالضيافة ودار الضرب، وخزانة البنود وخزانة الكتب، حجر الصبيان الحجرية وغيرها، وتسمى كلها معاً القصر الكبير الشرقى كما كانت تسمى قصور عبد الحميد في الأستانة قصر يلدز، وموضع القصر الكبير الشرقى الان في شرق القاهرة القديمة وشما ليها فيما بين الازهر وباب الفتوح، يدخل في ذلك خان الخليلي وبيت القاضى والجمالية والنحاسين، وقد سعى بهذا القصر بالشرق تمييزاً له عن قصر اخر أصغر منه كان غربى القصر وبينهما ساحة يقال لها الميدان بين القصرين، ووراء القصر الغربى نحو الغرب متزه كبير يقال له البستان الكافورى يحده من الغرب خليج القاهرة، وعلى هذا الخليج كانت متزهات الخلفاء الفاطميين، وكان في جملة أبنية القصر الكبير الشرقى بناء يسمونه قصر الذهب.<sup>56</sup>

### منظر العرش

ودخل القاعة امعدة للاستقبال وتسمى قاعة الذودخل القاعة امعدة للاستقبال وتسمى قاعة الذهب يدخل اليها من باب يسمى باب الذهب يدخل اليها من باب يسمى باب الذهب (حيث المارستان المنصورى فى النحاسين)، فجلس على سرير من الذهب فى صدر القاعة، يزن ألوف المئاقيل وحوله ستر محلى بطراز من الذهب المرصع بالجواهر فيه خمسمائة وستون قطعة حوهر مختلفة الالوان، وفوق السرير مظلة من ذهب وزنها ثلاثون الف مثقال، واكثر جدران الغرفة مغطاة يستور الديباج المزركش حتى أن الناظر اليها يحسب نفسه فى حلم، ولاسيما متى نظر الى مافوق عمامة العاضد من الجواهر المتألثة.<sup>57</sup>

### استخدام التشبيهات والاستعارات فى الرواية

1. اشارت بعينيها كأنها تستفهم عما حدث<sup>58</sup>
2. يتخطى الخرائب كأنه ماش فى داره<sup>59</sup>
3. ولوكان من العوارض الطبيعية كالمطرو والرعدو البرق<sup>60</sup>
4. والرجل يقفز بين يديه كالنمر لايبالي بالتعب<sup>61</sup>
5. يرتدى ثوبا ابيض كالقميمص الكبير دفعه اليه<sup>62</sup>
6. لكن عينيه تبرقان كاسراجين<sup>63</sup>
7. دخل كالذئب الكاسر<sup>64</sup>
8. ثم اطرقت كأنها ثابت الى رشدها وضمت خديها بين كفيها<sup>65</sup>
9. وفى يده هناة كالقلم يدا عبها بين اصابعه<sup>66</sup>

### الاستعارات:

1. رأيت هذا الشعر الذهبى<sup>67</sup>

2. قال (أرى سيفاً ومصحفاً أظنهم يحلفون عليهما)<sup>68</sup>
  3. فأسقط في يد أبي الحسن وعمد الى الفرار وقد تولاه اليأس واطلمت الدنيا في عينيه<sup>69</sup>
- استخدام صيغ الاستفهام في الرواية :

1. هل يخيفك يا أبي أن يرى نفسه كذلك ونحن نعلم أنه أسيرنا وضيعنا؟<sup>70</sup>
2. ماذا يحدث اذا وقعت الأشعة عليه؟<sup>71</sup>
3. ألا تسمع صوتها يدوي به البر؟<sup>72</sup>
4. متى كان الخلفاء الفاطميون يفعلون ذلك يا عم حسن؟<sup>73</sup>
5. مابالك يا يوسف وما الذي تحدثك نفسك به؟<sup>74</sup>
6. هل عندك شك في صدق هذا الشيخ العظيم؟<sup>75</sup>
7. أ يقتلك هذا الكردي؟<sup>76</sup>
8. أنت تعلم ما أنت مقدم عليه من الامر العظيم؟<sup>77</sup>
9. ألم توفق الى شئ بعد؟<sup>78</sup>
10. ماذا ترى فيهما؟<sup>79</sup>

#### استخدام صيغ الحلف في الرواية:

1. قال: (أقسمت برأس مولاي أن أقتله)<sup>80</sup>
2. قال: قد أقسمت على الخروج الليلة من هذا البلد،<sup>81</sup>
3. وقد أقسمت أن أكون في صباح الغد خارج هذا البلد،<sup>82</sup>
4. وقد أقسم أن يسافر الليلة فلا يريد أن يحنث في يمينه،<sup>83</sup>

#### استشهاد بالآيات القرآنية:

نصر من الله وفتح قريب ،<sup>84</sup>

#### أسلوب كتابة المكتوب في الرواية :

يختار الروائي أسلوب كتابة المكتوبات بين شخصيات الرواية

1. كتاب من عماد الدين الى السلطان صلاح الدين الايوبي<sup>85</sup>
2. كتاب من السيدة الملك الى عماد الدين<sup>86</sup>

#### خلاصة البحث

وكان جرجي زيدان رائد هذا الفن في العالم العربي، فوضع رواياته وسرد فيها تاريخ العرب المسلمين و تاريخ مصر الحديث وتاريخ الانقلاب العثماني، ولئن أكثر في اعتماده على عنصر المفاجأة للتشويق، ولئن كان تحليله النفسي ضعيفاً، ولئن ظهرت الشخصيات عنده وكأنها دمي يجركها كما يشاء، فإنه يسوق قصصه بأسلوب لا يخلو من متعة، وفيه مزيج من تاريخ أصيل تخيلات تزيد السرد متعة، وتبعد الجفاف الذي

يعتبر التاريخ وأحداثه، وبكذا استطاع زيدان أن يحرز نجاحاً بقصصه في العالم العربي، واستطاع بسلاسة كتابته، واختياره للموضوعات الشيقة أن يعوض عن النقص الذي لاتخلو منه رواياته. أما فإن روايته هذه تحقق كل الصفات الفنية للأدب: لأن كل عناصر الرواية كالشخصيات الرواية، والحبكة، والزمان والمكان، وغير ذلك من الأمور، قد تم الاهتمام بها بشكل جيد كما هو مذكور، وتشمل هذه الرواية الرومانسية رغم أنها تتعارض مع الحقيقة، إلا أنها تعتبر جزءاً أساسياً من الرواية الجديدة الحديثة، تظهر الاستعارات والتشبيهات وأشكال الاستفهام والقسم والاستشهاد من القرآن بوضوح أن رواية جرجي زيدان هي تحفة فنية من الصفات الفنية للأدب.

## References

- <sup>1</sup> Hamarneh, Walid. "Jurji Zaydan." *Essays In Arabic Literary Biography, 1850–1950* (2009), 389:92.
- <sup>2</sup> Taiba. ((2020)). *Al-Nazrat Al-Lughviah Bain Jarji Zaidan Wa Abdullah Al-Alay'i li. Phd Diss.*
- <sup>3</sup> Jarji Zaidan, *Tar'kh Adab Al-Lughat Al-Arabiah* (Beirut: Dar Al-Qalam 2020 Ad), I:14.
- <sup>4</sup> Thomas Philip "Jurji Zaidan And The Foundations Of The Arab Nationalism" (Syracuse University, Press), 9.
- <sup>5</sup> Doctor Hafz Ahmed Saeed Rana, *Al-Riwayah Al-Tari'khyah Bain Arji Zaidan Wa Al-Qazi Abdussatar* (Jamia Bahauddin Zakariyah, Multan 2016), 19, 20.
- <sup>6</sup> Ali Bin Muhammad Al-Jurjani, *Al-Ta'rifat*, (Dar Al-Manar), 16.
- <sup>7</sup> Mustafa Bin Abdullah Famous With Haji Khalifah, *Kashf Al-Zunon*, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah 1413ah), I:44.
- <sup>8</sup> Mustafa Bin Muhammad Sali'm, *Rijal Al-Mutallaqat Al-Axar* (Mauq Al-Wuraq), 32.
- <sup>9</sup> Al-Ubaidi' Jamal Najm, *Dirasa't Fi Al-Adab Ma Qabl Al-Bisat* (Dar Shumo' Al-Saqafat 2003), 139.
- <sup>10</sup> Muhammad Sajid Al-Haq, *Dramatic Poetry In Arabic Literature: An Analytical Study.* *Journal Of Islam In Asia (E-ISSN 2289-8077)* 16, No. 2 (2019): 1-34.
- <sup>11</sup> Samad Haidri, *Rehmatullah, Fasilatu Dirasat Al-Adab Al-Mua'sir* (2011-12-03), 22-40.
- <sup>12</sup> Anwar Fareed, *Fi Shi'R Al-Ghanae Tertayo's, Solon, Siyojenus, Mafom Al-Mstalih Bandaro's* (2008), 157-198.
- <sup>13</sup> Zain Al-Abdi'n, *Al-Shir Al-Qasasi End Khalil Matran Fi Mira't Al-Naqd Al-Ijtamae* (2017), 231- 248.
- Doctor Nadir Nizam, *Ruwad Ghazl Al-Mjo'n Al-Qasasi'fi Al-Shir Al-Arab* (Majalah Danishkadah E Adibat Wa Ulo'm Insani) (2000), 155.
- <sup>14</sup> Irshad Fakhri Al-Nihal, *Fun Al-Rasai'L Fi Asr Al-Mamlo'ki* (Palistine: Al-Jamia Al-Islamia Ghaza 2013), 2.
- <sup>15</sup> Hiba Yaseen Abdurrehman Bdri, *Uso'l Al-Khitabah* (Al-Sauodia: Jamaia Umm Al-Qura 2017), 5.
- <sup>16</sup> Jamal Al-Jasim Al-Mehmo'd, *Fann Al-Maqalah* (Majalah Jamiah Damuscuslilulo'm Al-Iqtisadiyah Wa Al-Qanonyah No24), I:49.
- <sup>17</sup> Ali Al-Jundi, *Fi Tari'kh Al-Adab Al-Jahili'* (Egypt: Dar Al-Turas 1991ad), 260.
- <sup>18</sup> Falih Al-Rabie', *Al-Qasas Al-Qurani... Ruyah Al-Fanniyah* (Cairo: Al-Dar Al-Saqafiyah 2002ad), 18.

- <sup>19</sup> Hussain Ali Mehmood, *Al-Tahri'r Al-Adabi* (Riaz: Maktaba Al-Abi'kan 2011ad), 327.
- <sup>20</sup> Abd Al-Kari'm Hussain Ali Al-Ra`Dan, *Fan Al-Tauqi'at Fi Al-Adab Al-Arabi* (Majallah Al-Dirasat Al-Ijtamaiyah No34), 229.
- <sup>21</sup> Ami'rah Abd Al-Hameed Jabir Nimran, *Suvar Al-Batal Fi Riwayat Al-Ard Wa Al-Falah Fi Al-Urdan* (Al-Urdan: Jamia A'LE Bait, 18).
- <sup>22</sup> Dao'd Abu Wila, *Mauzo*, 2017, March 29. Accessed 5 25, 2021. [https://Mawdo3.Com/%D8%B9%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%BI\\_%D8%A7%D9%84%D8%BI%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9](https://Mawdo3.Com/%D8%B9%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%BI_%D8%A7%D9%84%D8%BI%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9).
- <sup>23</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh* (Beirut: Dar Al-Fikr), I: 365.
- <sup>24</sup> *Urdu Dairah Ma'rif Al-Islamiyah* (Lahore: Jamia Punjab), 2: 166.
- <sup>25</sup> *Urdu Dairah Ma'rif Al-Islamiyah*, 371: 10
- <sup>26</sup> *The Encyclopedia Of Americana*, 10: 114  
*The Encyclopedia Britanica*, 10: 379
- <sup>27</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 385.
- <sup>28</sup> Ibn E Kasi'r, *Al-Bidayah Wa Al-Nihayah*, 14: 474.
- <sup>29</sup> Ibn E Kasi'r, *Al-Bidayah Wa Al-Nihayah*, 14: 373.
- <sup>30</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 393.
- <sup>31</sup> *Urdu Dairah Ma'rif Al-Islamiyah*, 10: 124.
- <sup>32</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 81.
- <sup>33</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 118.
- <sup>34</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 139.
- <sup>35</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 165.
- <sup>36</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 169.
- <sup>37</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 213.
- <sup>38</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 218.
- <sup>39</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 342.
- <sup>40</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 393.
- <sup>41</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 7: 280.
- <sup>42</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 7: 285.
- <sup>43</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 365.
- <sup>44</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 385.
- <sup>45</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 342.
- <sup>46</sup> Ibn Al-Asi'r, *Al-Kamil Fi Al-Tarikh*, 9: 393.
- <sup>47</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 58.
- <sup>48</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 62.
- <sup>49</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 97.
- <sup>50</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 138.
- <sup>51</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 16.
- <sup>52</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 17.
- <sup>53</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 17.
- <sup>54</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 18.
- <sup>55</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 19.
- <sup>56</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 22.
- <sup>57</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 22.
- <sup>58</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 141.
- <sup>59</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 150.

- <sup>60</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 173.  
<sup>61</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 174.  
<sup>62</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 185.  
<sup>63</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 185.  
<sup>64</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 93.  
<sup>65</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 100.  
<sup>66</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 109.  
<sup>67</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 93.  
<sup>68</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 154.  
<sup>69</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 145.  
<sup>70</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 27.  
<sup>71</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 17.  
<sup>72</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 19.  
<sup>73</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 15.  
<sup>74</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 28.  
<sup>75</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 198.  
<sup>76</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 186.  
<sup>77</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 110.  
<sup>78</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 201.  
<sup>79</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 204.  
<sup>80</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 85.  
<sup>81</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 84.  
<sup>82</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 97.  
<sup>83</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 100.  
<sup>84</sup> *Surat Al-Saff*, 13:28.  
<sup>85</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 142.  
<sup>86</sup> Jurji Zaidan, *Sultan Salahuddin Al-Ayyubi*, 169.